مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
HARMOON
Araştırmalar Merkezi
For Contemporary Studies

أوجه الإبادة في تشريح أنظمة الإبادة الجماعية

ترجمة: أحمد عيشة

ترجمات

مركـــز حرمـون
للدراســات المعاصــرة

هو مؤسّسة بحثية وثقافية مستقلة، لا تستهدف الربح، وتُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصًا الواقع السوري، وتهتم بالتنمية المجتمعية والفكرية والثقافية والإعلامية، وتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي، وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان.

يحرص المركز على عقد لقاءات حوارية ومناقشات فكرية، حول القضية السورية وما يكتنفها من متغيرات سياسية وإنسانية واجتماعية واقتصادية، وتمتد هذه اللقاءات والمناقشات، لتشمل التأثيرات الإقليمية والدولية، ومواقف الأطراف السورية المختلفة منها، سلطة ومعارضة، مع الرصد الدائم لأدوار الحلفاء الإقليميين والدوليين للفرقاء السوريين، والتقييم المستمر لتطور تلك الأدوار ودرجة فاعليتها في المشهد السوري.

يسعى المركز لأن يكون ميدانًا لتلاقح الأفكار والحوار والتخطيط للبناء، وساحةً للعمل الجدّي المثمر على الصعد كافة، البحثية والسياسية والفكرية والثقافية؛ ويأمل أن يبني علاقة متقدمة بالمجتمع السوري، والعربي عمومًا، تقوم على التأثير الإيجابي فيه والتأثر به في آنٍ معًا.

قسم الدراسات:

يُقدِّم هذا القسم الدراسات العلمية والموضوعية التي تناقش القضايا السورية الأساسية، وتعالج المشكلات الرئيسة، وتقترح الحلول والبدائل المناسبة، وهو مسؤول عن إنتاج المواد البحثيّة العلمية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والثقافية والتربوية، التي تستند إلى جهدٍ بحثيّ أصيل ورصين يتوافق مع أصول العمل البحثيّ العلمي.

يحرص قسم الدراسات على تقديم قراءات للواقع الراهن، ويضع على جدول أعماله إنتاج دراسات من الفئات البحثية كافة، بهدف إعادة بناء المنظومة الفكرية والسياسية والقانونية والثقافية والتربوية في سورية المستقبل، ويستكشف التأثيرات المتبادلة بين السياسة والاقتصاد والقانون والمجتمع والفكر، ويبحث في تأثيرات الحرب السورية وسبل تجاوزها في المستقبل في نظام ديمقراطي تعددي تداولي.

أوجه الإبادة في تشريح أنظمة الإبادة الجماعية (*)

اسم الدراسة الأصلي	The Facets of Annihilation
الكاتب	ساشا رابيرت، Sascha Ruppert
مكان النشروتاريخه	مراجعات دولية، International Review، 31 آب/ أغسطس 2020
رابط الدراسة	https://international-review.org/the-facets-of-annihilation/
عدد الكلمات	8288
ترجمة	قسم الترجمة/ أحمد عيشة

المحتويات

كوبلنز: محاولة للعدالة في المنفى 3

الطريق الألماني إلى الإبادة الجماعية 7

الطبيب والمحرقة 9

المتغيرات الاجتماعية والنفسية للإبادة الجماعية 11

من الأنظمة الجينوقراطية [حكم السلالة] إلى أنظمة الإبادة الجماعية: سورية الأسد 14

مذبحة للإرهابي -الحفاظ على الأسد نفسه 19

نظرة معمقة على فسيفساء العنف الهوياتي 21

صناعة الإنكار الأسدية 26

الحاجة الماسة إلى قيصر 29

كوبلنز: محاولة للعدالة في المنفى

بدخول سورية العام التاسع من حربها المدمرة، مع نشر الحقيقة المؤرقة المتمثلة في أن استبداد الأسد يمكن أن يبقى ويستمر في الوقت الحالي؛ تتلاشى الآمال في إجراء تحقيق شامل في سلسلة الفظائع التي أدارتها الدولة. وإن الدور البارز الذي لعبته الدولة السورية، في إدارة سلسلة العنف التي وصفتها الأمم المتحدة بـ «التدمير المتعمد لأجزاء من عمران الدولة»، لا يزال كحال الفيل في الغرفة، يقوّض أي محاولة جادة لتحقيق مصالحة وطنية [1].

ونتيجة فشل مطالبة دول أوروبية بارزة في إنشاء محكمة جنائية دولية لمرتكبي الجرائم في سورية، بسبب عدم وجود اتفاق في مجلس الأمن؛ اتخذت بعض الدول الأوروبية مسارات جديدة لمواجهة الطلب المتنامي للسوريين في الشتات من أجل العدالة. حيث تمكنت المحاكم الوطنية في أوروبا -بموجب الآلية الدولية المحايدة والمستقلة التي اعتمدتها الأمم المتحدة- من التحقيق في الجرائم ضد الإنسانية المرتكبة في سورية منذ عام 2011، كما تمكنت من إصدار مذكرات توقيف ضد الشخصيات الرئيسة التي مارست العنف، وفقًا لمبدأ الولاية القضائية العالمية [2،3].

تبدو حقيقة أن أكبر قضية قضائية حتى الآن تجري على الأراضي الألمانية (البلد الذي يمكن أن ينظر إلى الوراء على إرث تجربتين شموليتين «توتاليتاريتين» من الهيمنة) وكأنها نتيجة ثانوية لتفكير البلاد التاريخي [4]. إن مقاربة الولاية القضائية الدولية، ضد عملاء العنف الممول من الدولة، تعبّر عن التجربة الذاتية بالاستبداد، ويمكن أن تعبّر أيضًا عن الهوية الوطنية في مواجهة الدولة الاستبدادية المتنامية عالميًا [5،6].

بينما تقدّم محاكمةُ اثنين من العملاء السابقين في إدارة الفرع (251) سيئ السمعة بجهاز الأمن الداخلي السوري، في كوبلنز، وهما أنصار أصلان [والصواب: أنور رسلان] وإياد أ [7،8]، لضحايا التعذيب في نظام

(1) - بعيدًا عن الأنظار، بعيدًا عن التذكر: الوفيات أثناء الاحتجاز في الجمهورية العربية السورية»: مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة (شباط/ فبراير 2016)

(2) - «الطريق للعدالة في سورية يمر من أوروبا»: معهد الشرق الأوسط

(3) - «الآلية الدولية المحايدة والمستقلة للمساعدة في التحقيق ومقاضاة الأشخاص المسؤولين عن أخطر الجرائم (بموجب القانون الدولي) المرتكبة في الجمهورية العربية السورية منذ آذار/ مارس 2011»: الأمم المتحدة

(4) - "Vergangenheitsbewältigung": Bundeszentrale für politische Bildung

(5) - صعود الاستبداد العالمي، روزا لوكسمبورغ

(6) - «من النازية إلى اللارجعة إليها أبدًا - كيف تتعامل ألمانيا مع الماضي»: الشؤون الخارجية (FP)

(7) - أتباع الأسد: مطاردة مجرمي الحرب السورية في أوروبا: العربي الجديد

(8) - شاهد أم متهم؟ محاكمة أنور رسلان وإياد الغريب: مركز العدالة والمحاسبة السوري

الأسد، فرصةً لتحقق العدالة، أعلن المدعي العام الألماني **بيترفرانك**، في تموز/ يوليو 2020 [11،10،9]، مذكرة توقيف أخرى ضد مجرم حرب سوري آخر، كان يعمل طبيبًا جراحًا في عيادة إعادة التأهيل في بلدة هسيان التابعة لولاية باد فيلدونجن، وهو الطبيب **علاء موسى**، المتهم بارتكاب جرائم ضد الإنسانية بحق عناصر من المعارضة السورية، كانوا معتقلين في فرع المخابرات العسكرية لدى النظام (261)، في مشفى حمص العسكري [13،12].

(9) - «محكمة ألمانية تفتح أولى محاكمة بحق من عذّب سوريين»، رويترز

(10) - «الأفرع الأمنية السورية ومسؤولية رؤسائها»: الشبكة السورية لحقوق الإنسان (نشرت 2013)، ص 9

(11) - الشرطة الألمانية تعتقل طبيبًا سوريًا بتهمة ارتكاب «جرائم ضد الإنسانية»: دويتشه فيله

(12) - https://twitter.com/Mosa13Mosa/status/1260878057600167936?s=20

(13) - «بيانات أطباء عذبوا وقتلوا معتقلين في مستشفى حمص العسكري»: زمان الوصل

«كان الطبيب يحرّق الأعضاء التناسلية للمتظاهر بالنار والكحول. وبعد القيام بتلك الجرائم هرب إلى ألمانيا.. الأطباء أكثر إجرامًا من الشبيحة». من الفيلم الوثائقي «البحث عن جلادي الأسد».
تغريدة لـ محمود موسى
(https://t.co/mgOZJabhg8?amp=1)

باستخدام معرفته التشريحية في مهنته، قدّم الطبيب موسى خدماته لتنفيذ البنية التحتية المنظمة للعنف في الدولة السورية، وذلك بإلحاق إصابات دقيقة من الناحية التشريحية لإطالة أمد الألم الجسدي، أو بالتشويه المتعمد للأعضاء التناسلية البشرية، وعلى ذلك؛ فإن حالة موسى هي صورة مصغرة واضحة وبسيطة لحالة التوليف السريالي بين قسَم أبقراط، والعداء المطلق لسياسة الإبادة المنهجية [15،14].

بينما يقدّم **أنور البني**، المحامي والمدافع عن حقوق الإنسان، والناشطة **وفاء مصطفى**، صوتًا تمثيليًا لكثير من السوريين المتضررين في ألمانيا، يتلقى المحققون المسؤولون المزيد من الشهادات من جمهور غفير، من الضحايا السوريين في جميع أنحاء أوروبا [19،18،17،16]. وإن اعتقال الطبيب «موسى» يوفّر لضحايا وأقارب المعتقلين السياسيين فرصةً لتقديم مزيد من الاعتراف بمعاناتهم، وكذلك يحرم شبكاتِ أتباع النظام السابق في ألمانيا من شعورهم بالإفلات من العقاب [23،22،21،20].

من منظور ألماني، لا شكّ في أن مشاركة المهنيين الطبيين، في سلسلة سياسة الإبادة التي تفرضها الدولة، تبعثُ ذكرياتٍ مظلمة. وإنْ كانت المقارنة المباشرة مع القتل الصناعي للمحرقة غيرَ ضرورية، فإن تهرّب الأطباء الجناة، من مسؤولية إسهامهم في القتل، يدعو إلى استعادة المنظور التاريخي لإساءة استخدام الطبّ لتدعيم الإبادة الجماعية [24].

يعتمد التأمل الآتي على افتراض أن ظاهرة العنف الذي تنظمه الدولة تتبع عمليات اجتماعية نفسية

(14) - https://twitter.com/FADELABDULGHANY/status/1275076580860063747?s=20

(15) - طبيب سوري متورط في أعمال حربية وحشية تحوّل إلى لاجئ في ألمانيا «: المرصد السوري (The Syrian Observer]

(16) - «ضحايا سوريون للتعذيب يشهدون في محكمة ألمانية»: دويتشه فيله

(17) - «على مرأى من الجميع - البحث عن مجرمي الحرب السوريين في أوروبا»: مجلة هاربر (Harper)

(18) - أنور البني

(19) - وفاء مصطفى

(20) - «لا مكان للفرار: اللاجئون السوريون يواجهون أجهزة دمشق الأمنية في الاتحاد الأوروبي»: سورية مباشر (Syria Direct)

(21) - «السوريون في ألمانيا: حاتم بدوي عميل أمني سابق يشي بالمتظاهرين»: المرصد السوري (The Syrian Observer)

(22) - أسعد حنا

(23) - «المعركة من أجل الحقيقة والمساءلة في سورية لها صوت أنثوي»: سورية مباشر (Syria Direct)

(24) - «الأطباء الألمان والحل النهائي»: نيويورك تايمز

مماثلة، وبذلك تكون مرتبطة بتاريخ آخر من العنف. عندما نتحدث عن المقارنة التاريخية، لا نعني المعادلة، بل محاولة الاستنتاج من أوجه التشابه في العنف الجماعي، حول الديناميكيات الاجتماعية التي أدت إلى هذه الإبادة المنظمة بصورة بيروقراطية [25]. يركز السؤال العام الذي يوجه هذا التحليل على بناء خطاب محدد يعلّل ممارسة العنف الجماعي هذه. ونحاول تتبع عمليةٍ تُحقّق في التعبير النهائي للسيادة السياسية: كيف يقود الناسَ العاديين إلى أن يصبحوا أدوات ممتثلة لسياسة عنف متعمدة في دولة استثنائية جماعية.

(25) - Evans. J. Richard 1991: Im Schatten Hitlers? Frankfurt, pp. 125-135

الطريق الألماني إلى الإبادة الجماعية

إذا أشار المرء إلى البحث الشامل، حول دور مهنة الطب في ألمانيا الفاشية، فسيحصل على منظور جديد لأنشطتها في سياق الدولة الشمولية. إن إسهام بعض الأطباء الألمان يعطي أهمية علمية للفكرة المتناقضة، حول التصنيف الطبيعي للإنسان إلى أعراق، ويشكّل الأساسَ اللغوي للتطبيق المباشر للإبادة السياسية الحيوية النازية منذ عام 1935 وما بعده [26].

عندما جادل **رودولف هِس** (القائد العسكري من الشرطة السريّة لمعسكر أوشفيتز) بأن «الاشتراكية القومية ليست أكثر من علم الأحياء التطبيقي»، كان يدّعي ذلك على أساس اتجاه بحثي سائد في الطب الحيوي، في أوائل القرن العشرين، حيث حاول التخفيف من المظالم من خلال تفسيرات بيولوجية [27]. وفقًا لطبيب الرايخ الأول والعضو الدائم في «لجنة حماية الدم الألماني» الدكتور **غيرهارد فاغنر**، فإن هذا التطبيق المتطرف (الراديكالي) يسعى إلى تحقيق هدف وطني أسمى: تحويل الطبّ الذي يمارس على الفرد إلى دواء يمكن أن يحرر الوحدة الجمْعية الوطنية من كل أشكال المعاناة الاجتماعية [28،29].

أصبح مفهوم «**العِرق الآري**» -بتعريفه التعسفي الكامل والمرن- البناءَ الإيجابي، من الناحية الطبية، الذي حدد به عداء النازيين السياسي مفهومهم عن شكل أدنى من الحياة. إن رؤية «النقاء العرقي»، إضافة إلى الدمار الشامل لجميع أولئك الذين يُعدّون أنجاسًا، التي كان من المقرر أن تكملها منظمة **ليبنزبورن** [تعني حرفيًا (نبع الحياة) وهي مُنظمة مسجلة مدعومة من الدولة، أنشأتها الشرطة السرية، وكان هدفها زيادة معدل مواليد الأطفال «الآريين» (أبناء الأشخاص المصنفين أصحاء وأنقياء عرقيًا) ارتكازًا على النظافة العرقية والأيديولوجية الصحية النازيتين. م.] بمحاولتها أن تصبح إنتاجًا ضخمًا للنموذج الأولي الآري [30].

على الرغم من اندماج اليهود بعمق في المجتمع الألماني، حتى تاريخ وصول هتلر إلى السلطة، تمكّن النازيون من تصنيف اليهود كتهديد طفيلي لجسدٍ وطني ألماني متخيّل، حيث أراد الطبيبان (ألفريد بوتشر) و(يوجين شتاهل) أن يطبّقا هذا الإجراء الطبي على اليهود، انطلاقًا من فكرة وجود نسب ألماني متجانس (هو غير موجود من الناحية العلمية) من خلال جعل أصل اليهودي مميزًا عن طريق علامات معيّنة في الدم.

(26) - «الطب والأبحاث النازية حول البشر»: The Lancet (كانون الأول/ ديسمبر 2004)

(27) - Enoch, Simon. "The Contagion of Difference: Identity, Bio-politics and National Socialism" Publication by Foucault Studies (December 2004), pp. 55

(28) - Ibid. p. 56

(29) - Meyer, Beate 1999. "Jüdische Mischlinge. Rassenpolitik und Verfolgungserfahrung 1933 – 1945", Hamburg, pp. 175

(30) - Thompson, Larry 1971. "Lebensborn and the Eugenics Policy of the Reichsführer-SS", in: Central European History, Vol. 4, Issue 1, pp. 54-77

«الرعب النازي لم يبدأ مع أوشفيتز. بدأ بالكلمات ... مع نزع الصفة الإنسانية عن الأقليات، وبمجرد أن يُنظر إليهم على أنهم أقلّ من بشر، يمكن فعل أي شيء لهم. إذا كنت تنتظر أوشفيتزًا آخر قبل أن ترفع صوتك، فسيكون صوتك عندها غير مفيد».
تغريدة لـ أندرو ستروليين بتاريخ 27 حزيران/ يونيو 2020

هذا التعريف الاستطرادي لليهودي، كمرضٍ واسع الانتشار بين الألمان، تبعه فصل وعزل منهجي للسكان اليهود، بناءً على الأساس الطبي لضرورة صحية [31]. تجلّى التطبيق العملي لهذا الخطاب في ألمانيا منذ عام 1939 فصاعدًا، مع وصم اليهود وإقصائهم على نطاق واسع في الحياة العامة في ألمانيا، فضلًا عن العزلة الفيزيائية للمجتمع الديني في بلدان أوروبا الشرقية المحتلة [32]. إنها السياسة التي كانت مبررة، من بين أمور أخرى، بحقيقة أن اليهود سيكون لديهم ميل فطري من الناحية البيولوجية نحو الجريمة، وقد يشكلون تهديدًا اجتماعيًا للتعايش في الرايخ الألماني [33].

(31) - Ibid. Enoch, Simon. Pp. 60-61

(32) - "Die Ghettoisierung der jüdischen Bevölkerung: Holocaust.cz

(33) - Kaplan, Gisela 1994. "Irreducible "Human Nature": Nazi Views on Jews and Women.", in: Challenging Racism and Sexism: Alternatives to Genetic Explanations, (Edit.) Ethel Tobach and Betty Rosoff, New York, pp. 194

الطبيب والمحرقة

بينما أسهم ذلك الإجراء الطبي في تشويه سمعة اليهود بالعلم الزائف، وتحوّل الطبّ من التطبيق الفوري -بالنسبة إلى المريض الفردي- إلى منظور جماعي، جعلت السياسات الاستبدادية للنازيين تطبيق ممارسات جديدة ممكنًا، بحيث تدفع الناس إلى العلاج من هذا المرض. وصُوّر اليهودي ككائن طفيلي، باستخدام إجراءات التطهير، ونفّذ هذه الإجراءات الطبيب **فيكتور براك** الذي كان يشغل رئيس برنامج القتل الرحيم (Kommando T4) في ذلك الوقت [34].

وفقًا لهذه الأيديولوجية العنصرية، برر الدكتور **فريتز كلاين** مشاركته في عمليات القتل الجماعي في معسكر أوشفيتز، كإسهام منه للحفاظ على حياة الإنسان، عندما ادعى أن من واجبه كطبيب «قطع الزائدة الغنغرينية من الجسد المريض» [35]. كانت مهمة أطباء القوات الخاصة، مثل كلاين، تصنيف أعداد الناس الذين يصلون إلى المنصة، وفقًا لمن كان لديه البنية ليعاني الموت المطول نتيجة الاستغلال الجسدي، أو من كان عليه أن يموت عن طريق الموت المؤلم في الغاز. كان من مسؤوليتهم تحديد كمية الغاز المستخدمة، وتحديد متى يجب تنفيس الغرف، وتقديم سجلات مفصلة عن عمليات القتل. كان الخطاب الطفيليّ (الذي حدد النازيون من خلاله أعداءهم آليًا) منظمًا بعناية، في كل هذه المهام [36].

إضافة إلى أن تشغيل الأطباء في معسكرات الموت كان عملًا وظيفيًا، لإجراء التطهير العرقي الميكانيكي، جلب لهم هذا العمل الاهتمام العلمي، وقدّم لهم مجموعة لا تنضب من المواد للبحث في سبل نزع الإنسانية عن الأفراد، وكان ذلك فرصة لجوزيف منغيله (طبيب القوات الخاصة) إذ اكتسب صيتًا ذائعًا، حتى إنه لُقّب بـ«مَلك الموت»، بسبب تجاربه البشرية المروعة على التوائم أو الأشخاص المتأثرين بالقزامة [37].

بتطبيق التجريد من الإنسانية الاستطرادي؛ تمكنت الاشتراكية القومية أيضًا من تحسين كفاءة آلة الحرب المتعطشة للدماء. سواء عن طريق تعريض السجناء لماء مثلج، أوزرع أوتغيير أطراف قسري، أوحقن بكتيريا تهدد الحياة، وقد استُغل ضحية الإبادة الصناعية حتى آخر جزء من كيانه، لضمان استمرار التفوق العسكري [38]. في مواجهة الهزيمة العسكرية النهائية، أعربت القيادة النازية عن رغبتها في العودة إلى سنوات عقار البيرفيتين [عقاقير منشطة] في الحرب الخاطفة، من خلال تجربة استخدام جرعات عالية من عقاقير

(34) - Ibid. Enoch, Simon. Pp. 66

(35) - Ibid. Enoch, Simon. P. 67

(36) - Kronemeyer, Amanda. "Doctors of the Holocaust: An Examination of Both SS and Prisoner Doctors" Publication by Grand Valley State University (December 2015), pp. 4

(37) - Zofka, Zdenek 1986. "Der KZ-Arzt Josef Mengele – Zur Typologie eines NS-Verbrechers", in: Vierteljahresheft für Zeitgeschichte, Jahrgang 34, Heft 2, pp. 245-267

(38) - Ibid. Kronemeyer, Amanda. Pp. 245-267

تحسين الأداء (المنشطات) على سجناء المعسكرات من أجل التطبيقات العسكرية [40،39].

خدمت جهود الأطباء لصياغة الأيديولوجية العرقية للاشتراكية القومية، كرائد للصلات الجديدة بين البحوث الطبية الحيوية والسياسة. كان الغرس العلمي لهذا التجريد من الإنسانية بمنزلة الغِراء الفكري الذي سهّل على المواطنين العاديين تبرير مشاركتهم في عملية التدمير الشامل. وأشارت **سابرينا أسد**، في مقالها عن الإبادة الجماعية النازية للغجر، إلى أن الهولوكوست لم يكن من عمل بعض الأطباء المجانين بلا ضمير، ولكن من عمل «أفراد عاقلين ومختصين، اختاروا التصرف وفقًا لأيديولوجية شريرة، وكان ذلك الفعل -بحسب عقولهم المشوّهة- الأمرَ الأخلاقي والعقلاني الذي يجب فعله في السعي وراء العلم» [41].

ما بدأ على المستوى الكلي بشكل خطابٍ، لصنع حالة العداء لجنون العظمة وتطبيعه، ترّسب على المستوى الجزئي وبات آلةً تدير العنف وتضخّمه؛ حيث إن التفاعل بين المعرفة والقوة يحوّل العناصر المدنية إلى عوامل تخدم سياسة الموت، ويحوّل الإبادة الجماعية إلى استجابة ضرورية للتجديد الاجتماعي.

(39) - Ohler, Norman 2018. "Blitzed: Drugs in the Third Reich", London, pp. 270-274

(40) - «تحية لـ هتلر وميث: كتاب يقول إن النازيين تغذيهم المخدرات»: نيويورك تايمز

(41) - «بوراجموس العلمية: "التجارب النازية على الغجر وأسطورة العالم المجنون»: Mangal Media

المتغيرات الاجتماعية والنفسية للإبادة الجماعية

في كتابه الشامل (**الأطباء النازيون: القتل الطبي وعلم نفس الإبادة الجماعية**)، وضع الطبيب النفسي **روبرت جاي ليفتون** مخططًا نفسيًا للإبادة الجماعية، بمساعدة طبيّة في معسكرات الإبادة النازية [42].

من الحالة الفردية للقتل الجماعي الذي لا مثيل له للنازيين، يحاول ليفتون تطوير نظرية عن عنف الإبادة الجماعية، على أساس التفاعل بين المتغيرات الاجتماعية والنفسية والذاتية الناتجة من الفردية. يعترف ليفتون بتجربة واحدة أو أكثر من الرضّات النفسية الجماعية، كنقطة انطلاق للعنف الجماعي المنظم على أساس الهوية الذي يتغذى من تفسير متطرف غائي للسياقات التاريخية. إن الإبادة الجماعية تصبح «شكلًا مطلقًا من أشكال القتل باسم الشفاء»، وذلك من خلال تراجع الزعيم السياسي عن المداولات العقلانية واستبدالها بطقوس عاطفية للعمليات الاجتماعية [43]. بعبارة أخرى: بحسب عقلانية النازية، أصبحت معسكرات الموت مؤسسات السياسة الحيوية التي كان على المجتمع المقدس أن يطهّر نفسه من خلالها، من كل انحراف عرقي وأيديولوجي.

في هذا السياق، لم يعد يُنظر إلى المجتمع على أنه تراكم لتنوع أفراده، بل صار موجهًا نحو فكرة كائن حي وطني غامض تتعرض هويته المشتركة للخطر من قبل كل أشكال التخريب [44]. تتغذى الهيمنة الفاشية بشكل خاص على هذا الوجود المطلق للعناصر المعادية داخل المجتمع، بينما يستغل الزعيم القائد الأزمة التي لا تنتهي، لخلق وحدة صحية للجسم الوطني. من خلال خلق «تجربة التعالي» القائمة على أساس حالة نفسية جماعية [46،45]، الإدراك الذاتي للفرد «يندمج مع صورة الحياة اللانهائية لناسه/ لشعبه» [47].

وهكذا، ليست الأزمة الشرط الأساسي لإعادة إنتاج ادعاءات الوصاية بالصلاحية فحسب، ولكنها تجبر الأفراد داخل المجتمع على التكيّف مع التطابق المنهجي لجميع عناصره [48]. وهكذا تتغذى فكرة تهديد الدولة الاستبدادية، في معظم الحالات، من خلال نشر رؤية عالمية تآمرية ثنائية (مانوية)، تُبطِل فاعلية/ إرادة

(42) - روبرت ليفتون 2017. «الأطباء النازيون: القتل الطبي وعلم نفس الإبادة الجماعية»، نيويورك، ص 420-421

(43) - المرجع السابق، ص 467

(44) - المرجع السابق، ص 470

(45) - ^ كورلاندر، إريك 2012. وحوش هتلر: الجذور الغامضة للنازية وظهور «الخيال الخارق» النازي، في: التاريخ الألماني، المجلد 30، العدد 4، ص 528-549»

(46) - Varishzky, Amit 2012. "Alfred Rosenberg: The Nazi Weltanschauung as Modern Gnosis", in: Politics, Religion & Ideology, Volume 13, Issue 3, pp. 311-331

(47) - مرجع سابق، روبرت ليفتون، ص 473

(48) - «الأديان السياسية والفاشية»: open Democracy

الفرد وتُخضعها للانتعاش الجماعي [50،49]. هذا الجو من الحرب الأبدية هو الأساس النفسي والاجتماعي الذي يمكن لمؤسسات العنف أن تقدّم نفسها على أساسه كـ «حارس للأمة».

إن علاج مرض الكائن الحي الوطني، ضمن هذا الإشراط القاتل، على شكل إبادة جماعية، ليس «سببًا واحدًا أو وسيلة واحدة، بقدر ما هو سلسلة من الأحداث والمواقف وحل المشكلات» [51]. نشأ الحل النهائي للنازيين من الإبادة الجماعية «الأصغر» المتمثلة في القتل الرحيم، ولكنه استخدم هذه التجربة لتحسين تقنيته وكادره وهياكل الإبادة في معسكرات الموت. تقلّص التدبير الإجرائي بسبب الكفاءة، حيث يخضع لمزيد من إضفاء الطابع المؤسسي [52].

في قلب هذه العملية، يمكن تحديد المراحل المتداخلة؛ العمليات الاستطرادية (المتمثلة في الانشطار الثنائي، ونزع الصفة الإنسانية، والإنكار) التي تسبق أو تتبع فعل التدمير. إنّ «الآخر»، بالنسبة إلى مجموعة محددة بشكل تجريدي، يقوم على خصائص الهوية مثل القومية أو العرقية أو الطائفية الدينية أو الاجتماعية الاقتصادية وعلى مأسسة مستمرة لخطابات عدائية للغاية تؤدي إلى تطبيع القتل الجماعي [53].

على حين أن كثيرًا من الباحثين في موضوع الإبادة الجماعية والعنف الجماعي يبرهنون أن الإبادة الجماعية هي ممارسة يرتكبها في الغالب الناس العاديون [55،54]، يفرّق ليفتون Lifton بين عاملين/ صنفَين للإبادة: الأول «**خبراء القتل**»، ويتألفون من أطباء وعلماء ومحامين وقادة عسكريين مسؤولين عن التنظيم العام للإبادة [56]. والآخر «**محترفو القتل**»، وهم المسؤولون عن الأعمال القذرة، وغالبًا ما يتم تجنيدهم من مجموعات من الأشخاص ذوي الخلفية الإجرامية أو المحرومة اجتماعيًا.

قبل كل شيء، لتأسيس بيروقراطية الإبادة الجماعية، لا غنى عن الفريق الأول (خبراء القتل)، لأنه أساس التعامل مع النموّ المتسارع للإبادة، ولأنه يجعل القتل اليومي موضوعيًا، باستخدام «توهين اللغة»

(49) - فاي، بريندان 2019. «نظرية المؤامرة النازية: التخيلات الألمانية والقوة اليهودية في الرايخ الثالث»، المجلد 35، العدد 2، الصفحات 97-75

(50) - Fischer, Karsten 2018. „Über Wahrheit und Täuschung im verschwörungstheoretischen Sinne“, in: Vom Umgang mit Fakten: Antworten aus Natur-, Sozial- und Geisteswissenschaften, (Edit.) Günter Blamberger/Axel Freimuth/Peter Strohschneider/Karen Weduwen, Paderborn, S. 65-78

(51) - مرجع سابق، ليفتون، ص 479

(52) - مرجع سابق، ليفتون، ص. ص 480-481

(53) - Moshman, David 2007. “Us and Them: Identity and Genocide”, in: Identity: An International Journal of Theory and Research, Volume 7, Issue 2, pp. 116-117

(54) - أرندت، حنة 1994. «أيخمان في القدس: تقرير عن تفاهة الشر»، نيويورك

(55) - Ibid. Moshman, David 2004. pp. 83-109

(56) - مرجع سابق، ليفتون، ص. ص 489-492

الروتيني، ويقي مرتكب الجريمة من تأثير التعاطف البشري [58،57].

(57) - المرجع السابق. ص. ص 495-496

(58) - أرندت، حنة. «المسؤولية والحكم»، نيويورك

من الأنظمة الجينوقراطية [حكم السلالة] إلى أنظمة الإبادة الجماعية: سورية الأسد

منذ ما يسمى «الحركة التصحيحية» في 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1970، هيمنت على سورية سلالة حاكمة، تحددت مطالبتها المطلقة بالحكم الاستبدادي، من خلال الوجود المطلق لـ «العدو الصهيوني»، وتسلسل الأزمات الوجودية المصاحبة [61.60.59]. في مواجهة الماضي الاستعماري والتأثير الإقليمي للنكبة الفلسطينية والخسائر العسكرية للجيش السوري ضد القوات الإسرائيلية، كانت حياة المواطن العادي في سورية تنغرس في بناء ذاكرة جماعية، تتميز بعديد من الرضّات النفسية. استخدم الأب حافظ الأسد هذه السردية لتنفيذ مزيد من الإجراءات الاستبدادية، بذريعة «التحديث الوطني»، وغايته الحفاظ على التعبئة الناجحة ضد عدد متزايد من الأعداء [63.62].

وهكذا، في خطاب «القائد الأبدي»، لم تكن العملية العسكرية عام 1982 في حماة قتالًا ضد معارضة لحكمه فحسب، بل كانت -في تشبيه بيولوجي سياسي- ردّة فعلٍ مناعية ضرورية للكائن الوطني، لمواجهة القوى التآمرية [65.64].

«لم يتحرك الإخوان المسلمون ضدّ الأنظمة التآمرية. تحرك الإخوان المسلمون، لأن الاستعمار وأميركا والصهيونية وجدونا نبني الإنسان القادر على التحدي والانتصار وتحقيق أهدافنا الوطنية. لذلك أرادوا قطع طريقنا، حيث أسسوا عصابة الإخوان المسلمين».
من خطاب حافظ الأسد على مأدبة الإفطار أمام العلماء وطلبة العلم في 18 تموز/ يوليو 1982

إن عدائية هذا العدو الداخلي، في الذريعة المروّجة لمتعصب إسلامي خاضع للسيطرة الأجنبية، هي المخطط الذي يستغله الابن (بشار) لإعطاء حكمه ذلك المجد، كشخصية رمزية للخلاص. وبحسب موروث

(59) - «أشكال جديدة من الكراهية القديمة: مواجهة معاداة الأسد للسامية في ألمانيا»: معهد واشنطن

(60) - أدهم صاولي 2018. «مأساة بناء الدولة البعثية» في الانتفاضة السورية: الأصول المحلية والمسار المبكر، (تحرير) ريموند هينبوش/ عمرو العمادي، نيويورك، ص 16-22

(61) - إسماعيل، سلوى 2018. «حكم العنف: الذاتية والذاكرة والحكومة في سورية»، كامبريدج، ص 120-121

(62) - الناشف، ثائر/ شتاء، ربيع 2016. «دور إسرائيل المتخيل في الحرب الأهلية السورية»، في: التقييم الإستراتيجي INSS، المجلد 19، العدد 2، 27-29

(63) - مرجع سابق، سلوى إسماعيل. ص. 67

(64) - ويدين، ليزا 1999. «غموضات الهيمنة: السياسة والبلاغة والرموز في سورية المعاصرة»، شيكاغو، ص 47

(65) - مرجع سابق، سلوى إسماعيل. ص 36-37

الادعاءات الاستبدادية بالصلاحية هذه، على الرغم من التباين الواضح في الخطاب، يغدو إضفاء الطابع المؤسسي المستمر على العنف وشيكًا [66].

من أجل إعطاء معنًى مناسب ومقبول لعملية الإبادة الجماعية التي نشهدها في سورية، من الضروري أن ننظر إلى تقديس قادتها وكذلك إلى ظروف الآخر التي تحدد العدو. إن ازدهار التعددية السياسية، التي تُعرّف على أنها مرض من قبل السلطة المطلقة بالقرار، يُكبح من خلال التنشئة الاجتماعية للجماعة، في رفض كل شيء أجنبي وقناعتها بالتفوق [67].

يعزو **ياسين الحاج صالح** ظهور الفاشية السورية وممارسات الإبادة الجماعية التي تحوّرت عنها، إلى أسباب مختلفة. حيث شكلت عائلة الأسد، التي تربت على أيديولوجية العروبة المطلقة البعثية، عامل تشجيع جماعي للعنف، على مستويات عدة من التمييز[68]. هذا جزء لا يتجزأ من الإكراه الاجتماعي للتجانس والقمع القانوني الناتج لجميع الحقوق، من أجل التمثيل السياسي المستقل للهويات.

كان حافظ الأسد قد أعدّ بالفعل توطيد التمثيلات السياسية بعد ما سمي بثورة آذار/ مارس عام 1963. توضح دراسة **نيكولاوس فان دام** (الصراع على السلطة في سورية: السياسة والمجتمع تحت حكم الأسد وحزب البعث) كيف همّش العلوي صلاح جديد في عام 1964 التمثيل الدرزي، في هيكل السلطة في سورية حول محمد عمران، أحد القادة الثلاث، وزميله، بسبب نيّاته التصالحية تجاه انتفاضات الطبقة الوسطى ضد سياسة البعث. أدّى سجن عمران إلى الإقصاء النهائي للتمثيل السياسي المستقل المحتمل للدروز، داخل مؤسسة ما بعد الاستعمار في سورية، وأدى أيضًا إلى تطهير جميع الكوادر الدنيا في المكاتب المناطقية التي كانت جزءًا من شبكة يرعاها عمران [69،70].

اتبع تجانس تمثيل العلويين نمطًا مشابهًا. في حين كان التواصل السياسي السابق لصلاح جديد المثال الأبرز على الصراع الداخلي على السلطة في الطائفة، أمّن حافظ الأسد حكمه المتواصل بسياسة هيمنة متطورة ومعقدة على كثير من مراكز القوى العلوية [71]. لم يكتف حافظ الأسد بسجن جميع القادة الدينيين العلويين المستقلين وإحلال أزلامه المخلصين محلّهم، بل ألزم مختلف المراجع الدينية للطائفة بالتكيف مع شعائر الدين السني [72].

وإذا افترضنا أن هذه العمليات نُفّذت من دون إشارة صريحة إلى الخلفيات الطائفية، فإن نتيجة إعادة تنظيم هياكل السلطة هذه أدت إلى حصر الأسد التمثيل بنفسه، ومن ثم قادت إلى هيمنة عشيرة الكلاسية

(66) - Ruppert, Sascha 2020. "„Assad or we burn the country" : Über die Denkstrukturen des Autoritarismus in Syrien", München

(67) - مرجع سابق، ويدين، ليزا. ص. ص 34-35

(68) - ياسين الحاج صالح 2017. «الثورة المستحيلة: تفسير المأساة السورية»، لندن، ص 101-108.

(69) - نيكولاوس فان دام 1996. «الصراع على السلطة في سورية: السياسة والمجتمع تحت حكم الأسد وحزب البعث»، لندن، الفصل الرابع

(70) - سيل، باتريك 1990. «أسد سورية: الكفاح من أجل الشرق الأوسط»، كاليفورنيا، ص 96

(71) - مرجع سابق، فان دام. الفصل الخامس

(72) - ياسين كساب، روبن/ الشامي، ليلى 2018. «البلد المحترق: السوريون في الثورة والحرب»، لندن، ص 115.

[73]. ويخلص **ياسين الحاج صالح** إلى أن النتيجة المنطقية التي تسود، ضمن هذا الشكل من الخضوع الاجتماعي، كافيةٌ لحصر التمثيل السياسي بإرادة الأب القائد [74].

إلى جانب الوعد بالأمن والاستقرار، يدرك الحاج صالح هياكل الكراهية التي تتكاثر في ظل هذا المجتمع المتناغم على ما يبدو. في مجتمع يتم فيه التبشير بالتجانس، وتُرفض لدرجة التحريم مداولات الاختلافات الطبيعية في تفاصيله، يتطور خليط خفي من المزاج الاجتماعي المتفجر لا تمكن السيطرة عليه [75]. وأوضح **أيمن عبد النور** [76] أن الاختلافات الطائفية ليست في التفسيرات المختلفة للتراث والفولكلور، بل في استقطاب النظام السوري الذي يتلاعب بسياسات الهوية الطائفية [77].

الولاء العلني للثالوث «الله وسورية وبشار»

(73) - «الأمور ليست على ما يرام مع العلويين في سورية»: معهد واشنطن

(74) - مرجع سابق، الحاج صالح. ص. 100

(75) - المرجع السابق. ص. ص 92-95

(76) - «النظام السوري يندفع ويتعامل مع الأقليات للبقاء في السلطة»: المجلس الأطلسي

(77) - «اللعب بالورقة الطائفية» تحرير. فريدريك ستوليس، منشور بقلم فريدريك إيبرت ستيفتنغ (2015)

يصف الحاج صالح الدولة البوليسية التي أنشأها الأسد بأنها صحراء سياسية، لا يمكن أن تنشأ فيها الثقة الشخصية إلا على أساس القرابة الشخصية، وقد جعلت وجودَ شكل شامل ومشترك للهوية الوطنية أمرًا مستحيلًا [78]. إن هذه الخصخصة لهياكل الدولة بالتحديد «هي التي تسهل إعادة إنتاج واستمرار الطائفية» [80،79].

كان على الفضاء الاجتماعي الاستبدادي الذي أُعطي فيه الوعد بالحماية من التمييز الطائفي، استرشادًا بقمع الأسد السياسي لجميع محاولات التداول العامة باسم التحديث، أن يصبح مكررًا للرغبة في تجانس هوية الفرد، على حساب الاستبعاد الكامل للآخر [82،81].

أدى هذا العداء القائم على الهوية بين الطوائف إلى ظهور الشعور بالتفوق، وظهور سردية الضحية، على أساس الجوانب المناطقية والطائفية والثقافية. على سبيل المثال، بسبب أعوام من الهيمنة في مؤسسات السلطة السورية [84،83]، تنسب الهوية العلوية نفسها، في كثير من الأحيان، إلى «الحداثة»، وإلى «العلمانية خصوصًا» [85]، بينما كان على السنّة أن يتكيّفوا مع تسمية التخلّف، وعلى الأكراد أن يروا أنفسهم عنصر تهديد دائم للنقاء العربي [88،87،86]. ومن الغريب جدًا أن الصورة الذاتية لتفوّق العلويين في السلطة تظهر بوضوح في معاملة السجناء العلويين. ومن المألوف أن يكون هناك تذكير لهؤلاء السجناء، في أثناء عمليات التحقيق، بأن عليهم أن يكونوا في الواقع في موقع المحقق ودوره [89]. وتشير تجارب أخرى من زنزانات الأسد المحصنة إلى أن السجناء العلويين كانوا يُجبرون على تعذيب زملائهم السنة من السجناء، بهدف إثارة الكراهية الطائفية [90].

---

(78) - مرجع سابق، الحاج صالح، ص 247-250

(79) - الحاج صالح، ياسين. «حكم الأسد الأبدي: مقدمة طويلة للإبادة الجماعية»: الأزمة [CRISIS]

(80) - مرجع سابق، الحاج صالح، الثورة المستحيلة. ص 222-226

(81) - المرجع السابق. ص 226

(82) - «الآخر» والثقافة الطائفية الشفوية في سورية: open Democracy

(83) - بايبس، دانيال 1989. «الاستيلاء العلوي على السلطة في سورية»، دراسات الشرق الأوسط، المجلد 25، العدد 4، ص. ص 429-50

(84) - إخوة السلاح »: مركز كارنيغي للشرق الأوسط

(85) - مرجع سابق، الحاج صالح، الثورة المستحيلة، ص. 246

(86) - Cifci, Deniz 2018. "Political Incongruity between Kurds and the opposition in the Syrian Uprising", in: The Syrian Uprising: Domestic Origins and Early Trajectory, (Hrsg.) Raymond Hinnebusch/Omar Imady, New York, Pp. 309-312

(87) - Yassin-Kassab, Robin & al-Shami, Leila 2016. "Burning Country: Syrians in Revolution and War", London, pp. 169-170

(88) - "Group Denial: Repression of Kurdish Political Cultural Rights in Syria": Human Rights Watch

(89) - "Ismail, Salwa 2019. "The Rule of Violence: Subjectivity, Memory and Government in Syria", Cambridge, pp. 191

(90) - «شبح تدمر»: زينيت (Zenith)

ووفقًا لما قاله الحاج صالح، بدأت الجينوقراطية (حكم السلالة) السورية التي نشأت حول عائلة الأسد، بتطوير ميول إبادة جماعية على ما يبدو مع الأحداث العنيفة في حماة عام 1982 [91]. في هذا السياق، فسّر النظام محاولةَ القتل في مدرسة المدفعية في حلب في صيف عام 1979، التي قام بها مسلحون إسلاميون (وهي توصف عمومًا بأنها نقطة البداية لسلسلة العنف) فسّرها بالفعل بوعي عبرَ بُعدٍ طائفي. واستُغلت المقاومة المتزايدة ضد السياسات الاستبدادية للنظام، كفرصة لتذكير العلويين بالتجارب القمعية للقرون الماضية. تهدف هذه الإدارة للمخاوف المتعلقة بالهوية، وهي مستمدة من تجربة القمع في ظل الحكم العثماني، إلى تكييف الموضوع العلوي في حالة توقّع وترقب للعنف، وهو أمر يعِدُ بحماية المجتمع الديني من عصر تجدد الاضطهاد السني [92،93].

ومع ذلك، ما قد يكون صحيحًا، بالنسبة إلى الحالة الفردية للهوية العلوية، لا يفسر أداء هذا الخطاب تجاه جميع الأقليات الأخرى المتوفرة كعوامل عنف تموّله الدولة. بالنسبة إلى تلك الشرائح من المجتمع، تتغذى صورة العدو على ثنائية شعبوية تتبع منطقًا مقبولًا عالميًا، مفاده أن الصراع الاجتماعي الكامن لأيديولوجية متطرفة يمكن حله بقمع الدولة.

إنه أساس «الآخر» العدائي للأعداء السياسيين البغيضين، الذي تبنى منذ 11 أيلول/ سبتمبر الخطاب الغربي حول الأمننة (تحول السياسة نحو الأمن) من أجل إضفاء الشرعية على القتل الجماعي المؤسسي تجاه المجتمع الدولي.

(91) - الحاج صالح، ياسين. «حكم الأسد الأبدي: مقدمة طويلة للإبادة الجماعية»: الأزمة [CRISIS]

(92) - Ibid. Ismail, Salwa 2019, PP. 155-157

(93) - Worren, Torstein Schiotz 2007. "Fear and Resistance: The Construction of Alawi Identity in Syria, University of Oslo, pp. 91-94

مذبحة للإرهابي -الحفاظ على الأسد نفسه

يجب فهم حقيقة أن نظام الأسد يصنف كلّ حملة قصف على الأراضي الخاضعة لسيطرة المعارضة، مهما كانت قاسية، كإجراء يتماشى مع الحرب الدولية على الإرهاب، في سياق نماذج المجتمع الدولي المتغيرة للسياسة الأمنية.

منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، حلّت ظاهرة الإرهاب محلّ دور الشمولية (التوتاليتارية totalitarianism)، بصفتها شرًا سياسيًا متصورًا بصورة جماعية، مع ظهور خطابٍ سيطر عليه انقسام ثنائي، بين احتكار الدولة لاستخدام القوة، والتخريب غير الحكومي. تلعب الدولة الأمنية القمعية دورًا حاسمًا في حلّ الاضطرابات الإرهابية، وليس من شأنها إجراء مقاربة للتحقيق في أسباب ظهور الصراعات الاجتماعية؛ حيث إن منطق إدارة الصراع السياسي يقوم على الافتراض الخاطئ بأن الحفاظ على «النظام القانوني» لا يمكن ضمانه إلا بسلبه من مناطق محددة أو من أفراد معينين [94].

إن حالة الطوارئ الدائمة التي فرضتها الحرب على الإرهاب، منذ الانتشار العالمي لأحداث 11 أيلول/ سبتمبر من قبل الولايات المتحدة، تمثل اليوم لعديد من الدول الاستبدادية الأساسَ الحيوي لسياسات العنف المنفلتة من العقاب [95].

«أعطت الحربُ على الإرهاب الدولَ الاستبدادية أكثر بكثير مما تتخيل الإمبريالية الأميركية: السابقة المثالية لحل مشكلات المعارضة تحت مبررات مكافحة الإرهاب».
تغريدة لـ توماس باتشلور بتاريخ 22 حزيران/ يونيو 2020

إضافة إلى حقيقة أن تعبئة الجماعات الإسلامية المتطرفة وإساءاتها يجب تقييمها على أنها الدعامة الأساسية لاستمرار العائلة الاستبدادي، فإن هوية الإرهابي المتعصب قاطع الرؤوس هي بالضبط الأساس الذي يبني عليه النظام الآخر القاتل [96].

على غرار العداء الاجتماعي بين الطوائف السورية، تتكون العملية الخطابية المتمثلة في الانقسام الثنائي ونزع الصفة الإنسانية من طبقات عدة وارتباطات بخطابات أخرى [97]. ولذلك، فليس مصادفة أن يصف بشار الأسد الاحتجاجات ضد حكمه اللصوصي (الكليبتوقراطي) بأنها «مؤامرة يقودها الأجانب»، وأنهم «في

(94) - Agamben, Giorgio 2002. „Die Souveräne Macht und das nackte Leben “, Frankfurt

(95) - «الإرهاب والإبادة الجماعية والمنعطف «الجينوقراطي»: الجمهورية

(96) - سام داغر، 2019. «الأسد أو نحرق البلد: كيف دمّرت رغبة عائلة واحدة في السلطة سورية»، نيويورك، ص 136

(97) - مطر، دينا. «الاتصال الإستراتيجي للنظام السوري: الممارسات والأيديولوجيا، مجلة الدولية للاتصالات (2019)

النهاية، مثل الجراثيم، تتكاثر في كل لحظة وفي كل مكان» [98].

ليس الوصم فقط كمؤامرة هو الذي من المفترض أن يميز بوضوح بين التساؤل عن الادعاءات الشمولية للسلطة وبين هوية وحدة الدولة/ الأمة السورية، ولكن قبل كل شيء التشابه مع الطفيلي الذي من المفترض أن ينكر الحق لهؤلاء الذين رفعوا صوتهم بالمقاومة.

يُكمل بشار الأسد هذا الوصف بتعريف مجموعات المعارضة المختلفة، في الأيام الأولى للانتفاضة السورية، على أنها حركة اخترقها التكفيريون المتطرفون [99]. ويجب استكمال صورة العدو التي يتم رسمها بهذه الطريقة بالسياقات التي دعمت نموذج السياسة الأمنية الغربية لأكثر من عقد، وتحسينها للصراع الوجودي مع المعارضة المحلية لحكم العائلة [101،100].

(98) - Profile: Bashar al-Assad": Al-Jazeera

(99) - esch, W. David 2018. "Bashar's Fateful Decision", in: The Syrian Uprising: Domestic Origins and Early Trajectory, (Hrsg.) Raymond Hinnebusch/Omar Imady, New York, S. 128-140

(100) - Spencer, Alexander 2012. "The Social Construction of Terrorism: Media, Metaphors and Policy Implications", in: Journal of International Relations and Development, Volume 15, No. 3, pp. 393-419

(101) - Ruppert, Sascha 2020. "„Assad or we burn the country": Über die Denkstrukturen des Autoritarismus in Syrien", München

نظرة معمقة على فسيفساء العنف الهوياتي

الغليان تحت الدعاية، لمجتمع خالٍ من الطائفة، سببه الخوف المجتمعي من عملاق (بهيموث) الإسلاميين، الذي كان يحدد إدارة الصراع الاجتماعي للنظام منذ أحداث حماة. حيث إن الصدوع بين الطوائف التي صُنعت على مدى عقود تُوفر النفوذ لاستمرار النظام، والأرض الخصبة لعنف الهوية الذي ترعاه الدولة [102،103].

ويرى **أوغور أوميت أونغور** (الباحث في الإبادة الجماعية) أن ميليشيات «الشبيحة» -ومعظمهم مجندون من المجتمعات العلوية الموالية للنظام- هي نواة القتل الجماعي الهوياتي في شوارع سورية. وعلى الرغم من نفي النظام رسميًا لأي توّرط له في فظائعهم، فإن أفعالهم -من ساحة الساعة في حمص إلى أحداث الحولة أو المذابح في شوارع البيضا وبانياس- يجب تفسيرها على أنها رموز رسمية لاستراتيجية الخوف [104]. إنه الاستخدام المتعمد لعناصر، يُفترض أنهم من المدنيين، من أجل تقديم العنف الذي تستثمر فيه الدولة بذريعة الحرب الأهلية [105،106،107،108،109].

ناقش عدد من المؤلفين، ومن ضمنهم الكاتب، دور اقتصادات الحرب والفرصة الناتجة عن ذلك لبعض الأفراد للاستفادة من حالة الصراع [110،111،112]. وعلى الرغم من أن البحث حول هذه الهياكل هو جهد مستمر للحصول على فهم شامل لمسار الصراع، ففي حالة سورية، لا تنبغي المبالغة في التأكيد أن هذا التطور نتاج

(102) - Ibid. Ismail, Salwa 2018. p. 134

(103) -الطريق المظلم لسياسات الأقلية، مؤسسة القرن.

(104) - Üngör, Ugur Ümit 2020. "Shabiha: Paramilitary groups, mass violence and social polarization in Homs", in: Violence: An International Journal, Volume 1, Issue 1, pp. 59-79

(105) - الحاج صالح ياسين. إصدار «الشبيحة السوريون ودولتهم - الدولة والمشاركة» منشورات هاينريش بول Stiftung (آذار/ مارس 2014)

(106) - Ibid. smail, Salwa 2018. pp. 172-182

(107) - "A Case Study of "The Syrian Resistance," a Pro-Assad Militia Force": Aymenn Jawad Al-Tamimi Blog

(108) - "Confessions of an Assad 'Shabiha' loyalist: how I raped and killed for £300 a month": The Telegraph

(109) - "These Are Assad's Henchmen": Business Insider

(110) - Abboud, Samer 2017. "Social Change, Network Formation and Syria's War Economies", in: Middle East Policy, Volume 24, Issue 1, pp. 92-107

(111) - Turkmani, Rim/Ali, Ali/Kaldor, Mary/Bojicic Dzelilovic, Vesna. "Countering the logic of the war economy in Syria; evidence from three local Areas" Publication in London School of Economics (July 2015)

(112) - The Factory: A Glimpse into Syria's War Economy": The Century Foundation

ثانوي لتفكك الدولة [113]، حيث إن وجهة النظر هذه تفشل في الاعتراف بأن الاستغلال الجائر للسكان العاديين هو أسلوب حكم نظام الأسد، الذي هو أمرٌ واضح تمامًا في زمن الحرب [115،114]. إن ظهور مراكز قوة شبه مستقلة هو الثمن الذي يرغب النظام في دفعه، لضمان استمراره على المدى الطويل [116].

مثل والده الذي تعهد بسحق «حشرات الإخوان المسلمين»، إبّان انتفاضات الثمانينيات [117]، تبنّى بشار الأسد مصطلحات طبية لتشويه سمعة انتفاضة عام 2011 ضد حكمه [118]. وخاصة من حيث اللجوء المنتظم إلى لغة طفيلية لتجريد الشخص المعارض من إنسانيته، ويكشف الاستخدام المنهجي لعوامل الحرب الكيمياوية ضد معاقل المعارضة أيضًا عن نفسه بمنطق جديد [120،119]. إنها الممارسة العملية لتعقيم الكائن الوطني الملوث بالجراثيم التي أدت إلى ظهور مفارقة القتل والشفاء للاشتراكيين الوطنيين [121].

(إن لغة الإبادة الجماعية لوزير الصحة السوري على قناة الإخبارية الرسمية تتضح في قوله:
«الجيش العربي السوري طهّر سورية من كثير من الجراثيم ...
ولا توجد حالات إصابة بفيروس كورونا في سورية حتى الآن»).
تغريدة لـ Vote him out في 13 آذار/ مارس 2020

وفقًا لبحث آني سبارو، فإن الفكرة الداروينية عن بقاء الأصلح هي التي توجه إهانة النظام المتعمد وتدميره لمؤسسات الصحة العامة غير المستقرة، وتشجع على إثارة الأمراض التي كانت مهزومة في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة [122]. ويرتبط هذا الإجراء بقصف القوات الجوية السورية والروسية المنهجي للمشافي الميدانية في مناطق المعارضة، بعدما حصل النظام على إحداثياتها عبر آلية الأمم المتحدة لحلّ

(113) - هايدمان، ستيفن. «ما بعد الهشاشة: سورية وتحديات إعادة الإعمار في الدول العنيفة»، منشور في السياسة الخارجية في معهد بروكينغز (حزيران/ يونيو 2018)، الصفحات 7-11

(114) - مرجع سابق، الحاج صالح، الثورة المستحيلة. ص 240-247

(115) - مرجع سابق، إسماعيل، سلوى 2018. «حكم العنف: الذاتية والذاكرة والحكومة في سورية»، كامبريدج، ص 81-85

(116) - "The War Economy in the Syrian Conflict: The Government's Hands-Off Tactics": Carnegie Endowment for International Peace

(117) - ياسر منيف، 2020. «الثورة السورية: بين سياسة الحياة وسياسات الموت، لندن، ص 22.

(118) - مرجع سابق، إسماعيل، سلوى 2018. «حكم العنف: الذاتية والذاكرة والحكومة في سورية»، كامبريدج، ص 37

(119) - «لا مكان للاختباء - شبح استخدام الأسلحة الكيمياوية في سورية»: (GPPI)

(120) - « النظام السوري وحملة الخوف»: مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي

(121) - Haug Fritz, Wolfgang 1986. „Faschisierung des Subjekts: die Ideologie der gesunden Normalität und die Ausrottungspolitiken im deutschen Faschismus ", Berlin

(122) - "Bashar al-Assad Is Waging Biological War—By Neglect": Foreign Policy

الصراع لحماية العاملين في المجال الإنساني [123،124].

يجب أيضًا تقييم انسحاب روسيا الأخير من هذا الاتفاق، من هذا الجانب، حيث يعرف الكرملين مدى أهمية رفض المساعدة الوجودية لغير المقاتلين في الأراضي التي تسيطر عليها المعارضة، بالنسبة إلى الإستراتيجية الشاملة للنظام. إنه الإنكار المطلق للحق في الحياة، الذي يجعل كل جريح يعاقَب كأن قدره أن يصبح هدفًا محتملًا للتفجيرات التي تخترق المخابئ [125].

لم يقف تدمير روسيا عند تدمير المنشآت الطبية، بل شاركت في التدمير الذي يجعل حالة الإبادة الجماعية في سورية ظاهرةً للعيان. يُدرج بشار في حكمه الاستبدادي تلك المؤسسات التي سيكون لها في سياقات أخرى طابعٌ مدنيٌ بحت. وهكذا نصل إلى البنية التحتية التي سُمح فيها للدكتور «علاء موسى» بتقديم مساهمته السادية في قمع الاحتجاجات في حمص [126،127].

نُقل المتظاهرون الذين أصيبوا في الأيام الأولى للثورة بنيران تعسفية لقوات الأمن السورية، في مدينة حمص، ليتعالجوا في مشفى حمص العسكري. وأكد أحد الصحفيين للقناة الرابعة، في عام 2014، أن هؤلاء الأشخاص أصبحوا ضحايا انغراس المخابرات العميق في جميع مؤسسات سورية. كان العقابُ على المشاركة في النقد العلني للنظام الحرمانَ من العلاج الطبي المناسب، والتعذيب المنهجي بالكابلات الكهربائية أو استخدام المتظاهرين الجرحى كأدوات تدريب للمتدربين الطبيين [128]. وذكر تقرير صادر عن لويزا لافلاك وزكريا زكريا، لصحيفة واشنطن بوست، أن المشافي كانت «مسالخ» بهدف سحق من ينتقد النظام في البداية [129].

(123) - «روسيا تنسحب من نظام الأمم المتحدة الهادف إلى حماية المشافي والمساعدات في سورية»: رويترز

(124) - «تفشي انتهاكات حقوق الإنسان وجرائم الحرب في الوقت الذي تواجه فيه إدلب التي مزقتها الحرب الجائحة، تقرير لجنة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق في سورية»: مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة (2020)

(125) - الأمم المتحدة قدّمت قائمة بالمشافي في سورية. تتعرض الآن للقصف. مؤسسة القرن

(126) - طبيب سوري متورط في أعمال حربية وحشية تحول إلى لاجئ في ألمانيا «: المرصد السوري (The Syrian Observer]

(127) - «حمص، مدينة العذاب». الغارديان

(128) - «توثيق 72 طريقة تعذيب يواصل النظام السوري ممارستها في مراكز الاعتقال والمشافي العسكرية»، الشبكة السورية لحقوق الإنسان (تشرين الأول/ أكتوبر 2019)، ص 33-35

(129) - «المشافي مسالخ بشرية: رحلة إلى أجنحة التعذيب السرية في سورية»: واشنطن بوست

إن نظرة على تقرير منظمة العفو الدولية المعنون (**أزمة صحية: الحكومة السورية تستهدف الجرحى والعاملين الصحيين**) تُظهر أن هذا التشابك، منذ 2011، لم يقتصر على حالات فردية، بل كان جزءًا لا يتجزأ من الجهاز القمعي. وهكذا فإن مهمة الطبيب هي إبقاء المريض واعيًا للاستجواب الذي لا ينتهي [130]. توفر المقابلة مع جيت غولدسميث (الذي قاد التحقيق ضد الطبيب علاء موسى مع مونيكا سي كاماتشو) دليلًا دامغًا على ضلوع الطاقم الطبي المنتظم في أقسى أساليب التعذيب التي يستخدمها الأسد [131].

«ربّما يكون هذا هو الوصف الوحيد الأكثر شيوعًا للتعذيب الذي سمعته في مقابلات الناجين التي أجريتها. لقد قام كلّ ناجٍ تحدثت إليه تقريبًا بوصف هذه الطريقة بالتفصيل. وغالبًا ما كانوا يصفون كيفيةَ حضور الطبيب المعالج للتحقق من أن التعذيب مستمرّ».
تغريدة لـ Jett Goldsmith بتاريخ 29 حزيران/ يونيو 2020

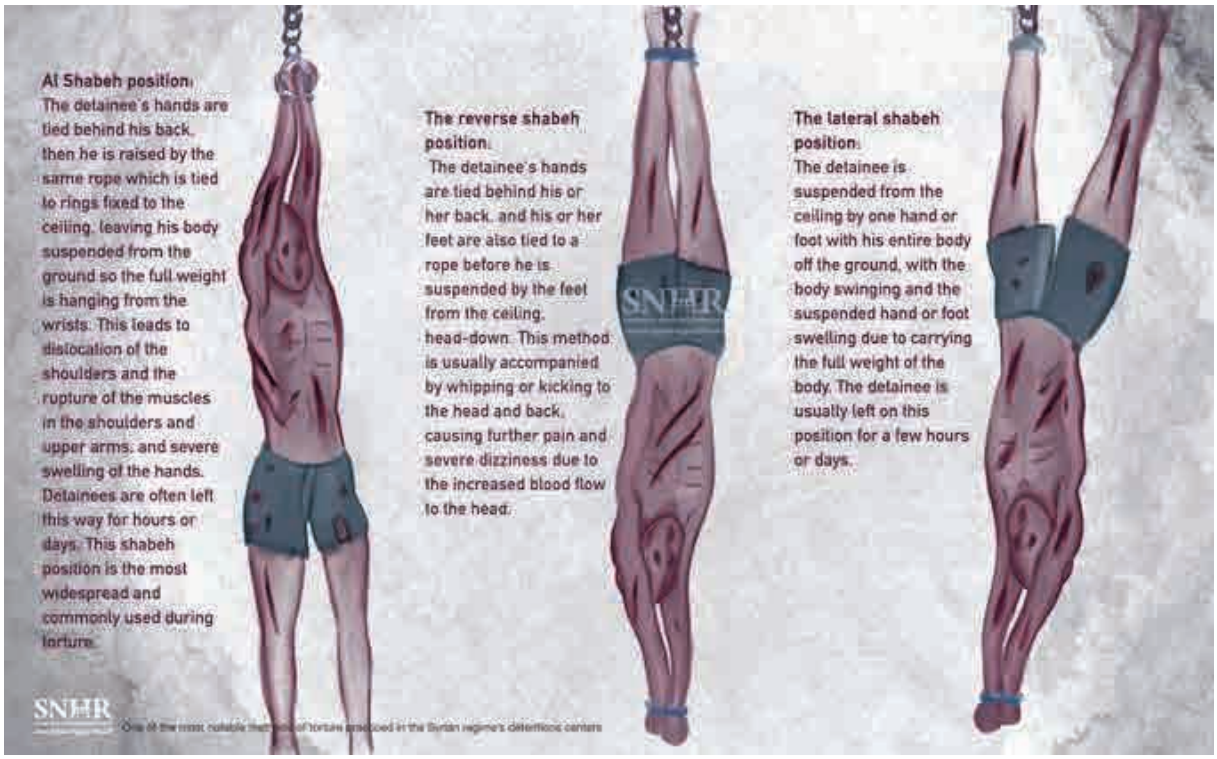

بالإشارة إلى صور معينة من ملفات قيصر، تظهر وجوه القتلى بعض الآثار المشبوهة، حيث أدار المحققون نظرية العمل القائلة بأن ألسنة الضحايا قد أزالها طبيب حاضر، وأن أفواههم كانت مملوءة بالشاش من أجل التقليل من فقدان الدم المفرط [132]. من أجل تقليل معدّل إشغال المنشآت الأمنية المكتظة، يُحكم

(130) - «أزمة صحية: الحكومة السورية تستهدف الجرحى والعاملين الصحيين»، منظمة العفو الدولية (تشرين الأول/ أكتوبر 2011)، ص 18-7

(131) - "Al-Jazeera: تحقيقات الجزيرة - «البحث عن جلادي الأسد»

(132) - Interview by International Review with Jett Goldsmith July 2020

على عدد معين من المحتجزين بالإعدام، بحقن الهواء في الأوعية الدموية الشريانية، وهو عمل آخر من أعمال الوحشية يُشرف عليه الأطباء [133].

التوضيح الرهيب الذي قدمته لنا ملفات قيصر، حول سياسات الإبادة التي يتبعها النظام، هو رؤى حول سلسلة إنتاج الجثث التي كانت تحدث في زنازين صيدنايا سيئة السمعة منذ عام 2011 [135،134]. إن صور الأجساد المنهكة الظاهرة في ملفات قيصر تستدعي المقارنة بأوضاع تعذيب الضحايا في معسكرات الاعتقال النازية، لكونها تخضع للبنية البيروقراطية ذاتها التي تهدف -عاطفيًا وفكريًا- إلى إضعاف المسؤولية الأخلاقية عن الإبادة الجماعية [136].

صور لجثث من سجن صيدنايا العسكري

(133) - مرجع سابق، ياسر منيف. ص 33

(134) - «صور التعذيب في سورية: شاهد على الفظائع»: مجلة نيويورك لمراجعة الكتب

(135) - «عندما يصبح الموت أمنية ... شهادات من سجن صيدنايا خلال الثورة»

(136) - مرجع سابق، ليفتون، الأطباء النازيون، ص 480-481

صناعة الإنكار الأسدية

ولكن أي معنى يجب أن تحمله هذه المقارنات والمراجعات لعنف الإبادة الجماعية، بالنسبة إلى كل واحد منا في النهاية؟

إحدى الحجج هي أن إعادة إنتاج هذه الأحداث تهدف إلى إبقاء الذاكرة حية التي يريد الجناة والدعاة الدوليون أن تُنسى. يرى **عدنان ديلاليتش** (عالم اجتماع ألماني من أصل بوسني) أن الإنكار النشط للإبادة الجماعية، الذي يطغى مرة أخرى على ذكرى العنف الجماعي، يأتي بعد استمرار القتل بأساليب استطرادية. وأن التعتيم المتعمد على الحقائق الثابتة يهدف إلى خلق «جو من عدم اليقين»، يهدف بدوره إلى طمس المسؤولية عن هذا العنف [137].

برئاسة إستراتيجية متطورة لوسائل التواصل الاجتماعي ومأسسة داخل سورية، من خلال التحريفية التاريخية النشطة لمؤسسة وثيقة وطن التابعة لبثينة شعبان، أصبح من الممكن ملاحظة دور «ذنب الفأر» في صناعة الإنكار العالمية [140،139،138]. على حين أن دعاية النظام المستهترة تسخر باستمرار من الضحايا على شاشات التلفزيون الوطني، وتقوم بعمليات تطهير منهجية ضد العملاء المنفذين لآلية الإبادة [142،141]. وتحاول أن تعرض محاولاتها في الإنكار على المجتمع الدولي بشكل أكثر جدية.

إلى جانب المنافذ المختلفة لوسائل الإعلام الحكومية الروسية، بصفتها المسؤول الأول عن هذه الإستراتيجية الإعلامية، تُنظم عملية إنكار الإبادة الجماعية التي تقودها الدولة في شكل مجموعة العمل المستقلة المزعومة حول سورية وفي الدعاية والإعلام [145،144،143]. على الرغم من عدم امتلاك أي من الأعضاء خبرة بحثية سابقة في مجال النظام السياسي السوري وتاريخه، فإن جميع الأعضاء يسعون جاهدين لتبرئة النظام من مسؤولية استخدام الأسلحة الكيمياوية، وتشويه هذه الادعاءات بإظهارها أنها محاولة لتغيير

---

(137) - "Wings of Denial: Mangal Media

(138) - «حرب السرديات قادمة»: الجمهورية

(139) -"The alternate reality that enables genocide in Syria": TRT

(140) - Prati, Giuli. "Between Propaganda and Public Relations: An Analysis of Bashar al-Assad's Digital Communications Campaign" Publication by Columbia Journal of International Affairs (March 2015)

(141) - https://twitter.com/QalaatAlMudiq/status/1278405826944929794?s=20

(142) - https://twitter.com/AsaadHannaa/status/1255073953791574016

(143) - "The Syrian conflict's anti-propaganda propagandists": al-Bab

(144) -«الحمقى المفيدون»: كيف ساعد هؤلاء الأكاديميون البريطانيون روسيا في إنكار جرائم الحرب في الأمم المتحدة: هافينغتون بوست

(145) - «بنك فكري بريطاني يقوم بتفحص الدعاية التي قام جندت حديثًا دعائيين مؤيدين لروسيا»: هافينغتون بوست

النظام من قبل الغرب [146].

نشر أحد مؤسسي المجموعة، **تيم هيوارد** Tim Hayward (الذي عمل بالفعل كأستاذ النظرية البيئية السياسية في جامعة إدنبرة) مقالات عدة، تنقل وجهة نظره عن العنف في سورية منذ عام 2013. بتشجيع من انتقاد تشومسكي لوسائل الإعلام الغربية، يحاول هيوارد مجتهدًا قلب العلاقات بين الضحية والجاني في سورية، رأسًا على عقب. وإضافة إلى محاولاته التشكيك في صحة الرواية الرسمية حول ملفات قيصر ومسؤولية نظام الأسد عنها، يوجه انتقاداته إلى العمل التحقيقي لمنظمة العفو الدولية المعنية بقضايا حقوق الإنسان [147].

ويزعم هيوارد أن منظمة العفو الدولية استندت، في تقاريرها عن الجرائم ضد الإنسانية في مراكز الاعتقال السورية، إلى شهادات الضحايا السابقين فحسب، لتأكيد هذه الفظائع. إن الافتقار إلى تحقق طرف ثالث مستقل من هذه الحقائق هو دليل كافٍ -لدى هيوارد- لإنكار صدقية أساليب منظمة العفو، ولإدانة المنظمة كأداة ممتثلة لمؤامرة غربية لتغيير النظام ضد نظام الأسد [148].

إنه قلبٌ متعمد للعلاقات بين الضحية والجاني، وهو ما يتضح، من بين أمور أخرى، في مذكرات الإحاطة الخاصة بهجمات الأسلحة الكيمياوية في سورية [149]. من دون تقديم أساس واقعي صحيح لهذه التكهنات المرعبة، يتابع الفريق بأكمله أطروحة العمل القائلة بأن الجثث، في مقاطع الفيديو التي أعقبت الهجمات بالأسلحة الكيمياوية، كانت لضحايا لمذبحةٍ قامت بها الميليشيات الجهادية المحلية [150].

تتألف المجموعة من فريق مريب من المؤلفين الذين يتميز عملهم بدرجة عالية من التفكير المؤامراتي وميل للدفاع العالمي عن الأنظمة الاستبدادية وتأييدها، ويجب أن نذكر موقع (غراي زون) الإخباري الإلكتروني (Grayzone News) كرائد آخر في عملية الإنكار هذه [151]. بعض كتاب الموقع ليسوا فقط ضيوفًا منتظمين على الحكام الاستبداديين، لكنهم يعرضون مهنتهم لغرض إعداد خطوط دعاية حكومية للجمهور الغربي. من خلال التفسير المهووس لكل انتفاضة شعبية ضد الهيمنة الاستبدادية، كنتيجة لمحاولة تغيير النظام من قبل الغرب، يتنكّر الصحفيون المفترضون في الموقع المذكور (Grayzone News) لأي إرادة سياسية للسكان المعنيين، ويتغاضون عمدًا عن سياسات العنف التي ترعاها الدولة ضد السكان [152،153].

(146) - «هل يملك الرئيس السوري بشار الأسد حلفاء غربيين يقومون بحملات العلاقات العامة من أجله؟»: (The Millennial Source)

(147) - «أدلة قيصر على الفظائع في سورية: ماذا تتطلب العدالة؟": (Tim Hayward Blog)

(148) - «كيف ضُللنا بخصوص سورية: منظمة العفو الدولية»: (Tim Hayward Blog)

(149) - «إحاطة موجزة: الهجوم الكيمياوي المزعوم في دوما في 7نيسان/ أبريل 2018، وهجمات الكلور المزعومة الأخرى في سورية منذ 2014»: مجموعة العمل والدعاية والإعلام بخصوص سورية.

(150) - مَن المسؤول عن الهجمات الكيمياوية في سورية؟ البروفيسور بول ماك كيغو (الجزء الثاني)»، (Tim Hayward Blog)

(151) - "Grayzone, Grifters and the Cult of Tank": Joshua Collins/Medium

(152) - "The Venezuela Hustle": Joshua Collins/Medium

(153) - «دخول المنطقة الرمادية: يساريون هامشيون ينكرون حجم قمع الأويغور في الصين»: قصة كودا (Coda Story)

أعضاء مجموعة العمل حول سورية (الدعاية والإعلام): بيرس روبنسون (إلى اليسار)، تيم هيوارد (إلى اليمين)، مع المدونة المؤيدة للأسد فانيسا بيلي

في ردة فعل على تطبيق قانون قيصر، حاول الناشر **ماكس بلومنثال** Max Blumenthal دحض اتهام الإبادة الجماعية في صيدنايا، من خلال الإشارة إلى أن الملفات تحتوي أيضًا على صور لقتلى من جنود النظام [154]. وهو اكتشاف يتجاهل عن قصد حقيقة أن المبنى الأبيض في صيدنايا هو مركز اعتقال لكل هؤلاء الجنود المتهمين بالعصيان [155].

(154) - "How a US and Qatari regime change deception produced 'Caesar' sanctions driving Syria towards famine": The Grayzone

(155) - «مسلخ بشري: شنق وإبادة جماعية في سجن صيدنايا، سورية» منظمة العفو الدولية (شباط/ فبراير 2017)، ص 6.

الحاجة الماسة إلى قيصر

إن الاعتراف بالأحوال في سورية، على أنها عنف إبادة جماعية، هو أمرٌ حاسمٌ لمسار الدعاوى القضائية المستقبلية ضد الجناة، وهو يمثل أيضًا البقايا المعيارية للوزن الثقيل لقانون قيصر، الذي سيؤثر في جميع قطاعات المجتمع السوري [156]. وقد ناقش كثيرٌ من الخبراء، على نطاق واسع، عواقب قانون قيصر الخطيرة على المحنة الوجودية للسكان العاديين. وهذا الفعل هو على الأقل ضمانٌ لأن يصبح التردد الأوروبي صعبًا قدر الإمكان، في مسألة السعي إلى التطبيع مع الجناة [159،158،157].

إذا أشار المرء إلى الأصوات المتأثرة داخل المجتمع المدني السوري، فإن المعضلة الشخصية المرتبطة بتنفيذ هذه العقوبات تصبح واضحة. بينما يقرّ الجميع بأن المدنيين هم من سيتحملون عبء هذه العقوبات، فلا أحد يستطيع أن ينكر حقيقة أن آلة حرب الأسد وطبيعته الفاسدة للغاية هي التي تسببت في إلحاق أضرار جسيمة بالاقتصاد السوري [161،160]. وسيكشف تأثير قيصر دعاية النظام بأن المصاعب المادية هي عبء يجب أن يتقاسمه جميع السوريين بالتساوي، من أجل الحفاظ على السيادة الوطنية. إن عدم اضطرار النخب المحيطة بشبكة رعاية الأسد إلى التخلي عن أي رفاهية في السنوات المقبلة، سيكون الدليل الأكثر وضوحًا على أن التآكل الاجتماعي للمجتمع هو نتاج حتمي لسياسة العائلة الموغلة منذ عقود في مصادرة الدولة السورية [162].

وإذا أصغى المرء إلى السوريين الذين تأثروا بشكل مباشر بسياسة العنف التي ينتهجها النظام، فإن قيصر هو أملهم الهامشي في عدم نسيان أعمال الظلم التي تنظمها الدولة، وهي مظالم لا تعد ولا تحصى [165،164،163]. وتجدر الإشارة إلى أن سياسة الآخر الاستطرادية التي ينفذها النظام، لها تأثير خطير على مصير السوريين بعيدًا عن المتناول المادي لأسلحته، بسبب شراكاتهم الإستراتيجية مع الأحزاب اليمينية المتطرفة

(156) - هل انهيار النظام في سورية يلوح في الأفق؟ تقييم قبضة الأسد على السلطة، معهد واشنطن

(157) - «هل سيضر مزيد من العقوبات على سورية بالمدنيين الذين تهدف تلك العقوبات إلى حمايتهم؟»: (War on the Rocks)

(158) - «وجهتا نظر بقانون قيصر»، الجمهورية نت.

(159) - «لم تعد أوروبا توافق على الأسد بعد الآن»: السياسة الخارجية (Foreign Policy)

(160) - «كيف سيؤثر قانون قيصر على المجتمع المدني السوري»: الجمهورية نت

(161) - هايدمان، ستيفن. «قانون قيصر والطريق للخروج من الصراع في سورية» منشورات بروكينغز (حزيران/ يونيو 2020)

(162) - "State of starvation": al-Jumhuriya

(163) - "Syrian Activist, Fared AlHor: Caesar Act exposed the true face of Assad's regime.": IranArabSpring Blog

(164) - "Fighting for graves we can visit": al-Jumhuriya

(165) - https://twitter.com/wwwael82/status/1280112238951641089?s=20

في أوروبا [167،166].

إن الافتراض القائل بأن رفع العقوبات سيفيد حماية السكان العاديين يتجاهل منطق الدولة الشمولية التي تُدار فيها سورية الأسد. وإن الوعد بحماية ما يمكن أن ينطبق اليوم على الموالين قد يقع غدًا ضحية لوحشية الإرهاب، كما يتضح من مصير رامي مخلوف، أحد أقطاب النظام السابقين [169،168].

في خطاب ألقاه في عام 2017، عبّر بشار الأسد عن ثقته بنفسه، بشأن المقاصد طويلة المدى لسياسة العنف التي ينتهجها، عندما أعلن صراحة أن ثمار نجاحه هي المجتمع المتناغم والمتجانس [171،170]. إذ قال: "لقد فقدنا أفضل ما لدينا من شبابنا وبنيتنا التحتية، لكننا كسبنا مجتمعًا أكثر صحة وأكثر تجانسًا».

من حيث هذه الرؤية الصريحة حول أهداف ممارسته للإبادة الجماعية، الأمرُ متروكٌ للمراقب نفسه ليقرر الجواب: هل سينخدع بدعاية الدولة الاستبدادية، ويسمح بأن يُتاجر بقانون قيصر كمحاولة أخرى من قبل الغرب لإسقاط نظام الأسد أم لا؟ [172].

ومع ذلك، تظلّ الحقيقة أن المطالب الرئيسة مرتبطة بإلغاء قانون قيصر. لا يزال السماح بأي شكل من أشكال التحول السياسي للنظام والإفراج عن السجناء السياسيين هو الحد الأدنى من المطالب التي يمكن أن يفرضها الغرب على نظام الإبادة الجماعية، نظرًا لمدى العنف المنهجي. تُظهر التجربة التاريخية لحالات الإبادة الجماعية أن اندلاع الإبادة الجماعية ضد السكان المتضررين، وتهدئة التفاعلات المجتمعية، لا يمكن تحقيقهما إلا من خلال التقليل من قيمة شعور الجناة بالتفوق من خلال المساءلة [174،173].

باتباع الاعتبارات النظرية التي شرحناها في البداية، في ما يتعلق بظهور الإبادة الجماعية كردة فعل محتملة على الرضّة الجماعية، يُفسح المجال لرؤية مشؤومة لمستقبل سورية. وقد أوضح **ياسين الحاج صالح**، في الآونة الأخيرة، في مقابلة مع موقع «الجمهورية»، أن حقيقة عدم وجود حلّ أو انتقال سياسي أو

(166) - «لماذا يحب القوميون البيض بشار الأسد؟»: (The Intercept)

(167) - «تفحص دعم القوميين البيض لحكومة الأسد»: (The Fulda Gap)

(168) - «النظام السوري ينقلب على رعاته: سقوط رامي مخلوف من النعمة»: (International Review)

(169) - «حادثة مخلوف والاقتتال الداخلي داخل النظام السوري»: مركز السياسة العالمية (Center for Global Policy)

(170) - خطاب بشار الأسد 2017، وكالة (سانا).

(171) - «السوريون المقيمون في الولايات المتحدة: خطاب الأسد عن مجتمع متجانس في سورية يمثل نوعًا جديدًا من الهتلرية»: (MEMRI)

(172) - «الحفاظ على النظام: كيف سهلّت السياسة الأميركية انتصار الأسد»: الجمهورية نت

(173) - "Lernen in Sachen Aufarbeitung von Völkermord und Diktatur": Deutschlandfunk

(174) - Armstutz, Mark R. "Is Reconciliation Possible After Genocide? The Case of Rwanda", in: Journal of Church and State, Volume 48, Issue 3, Summer 2006, Pages 541–565

اعتراف بالمعاناة لا يمكن إلا أن تؤدي إلى إبادة جماعية أكبر[175].

هذه الحالة الاجتماعية والنفسية موجودة بالفعل في مؤسسات النظام السياسية، منذ أن أدت الحرب إلى تحول البعث تدريجيًا إلى حزب ميليشيا [176]. ولأن النظامَ خاضع لموّلي العنف وأقارب الموالين الذين قدّموا أبناءهم من أجل استمرارية السيادة، فإنه يُبقي هؤلاء الفاعلين الذين يعارضون أي تغيير، ببساطة، لأنهم مسؤولون عن العنف الجماعي. إن تلك الميليشيات المعرضة للعنف، والمتطرفة في نظرتها العالمية القائمة على الهوية، ستظلّ تدافع بطاعة عن عرش الأسد، بكل الوسائل [179،178،177].

إذا تذكّرنا حجة ليفتون، بأن الإبادة الجماعية هي عملية تدريجية، ففي حالة «سوريا الأسد»، يجب طرح هذا السؤال: **ما المجازر التي لم تُرتكَب بعد؟**

(*) الآراء الواردة في هذه المادة لا تمثل آراء المركز ولا مواقفه من القضايا المطروحة

(175) - "Surviving monstrosities: An interview with Yassin al-Haj Saleh": al-Jumhuriya

(176) - Awad, Ziad Awad/Favier, Agnès. "Elections in Wartime: The Syrian People's Council (2016-2020)" Publication by European University Institute – Middle East Directions

(177) - Favier, Agnès/ Kostrz, Marie. "Local elections – Is Syria moving to reassert central control?" Publication by European University Institute – Middle East Directions (February 2019), pp. 13-15

(178) - «مجرم حرب يفوز بانتخابات حزب البعث في حماة»: المرصد السوري (The Syrian Observer)

(179) - https://twitter.com/AymanDas1/status/1279910188141752321?s=20

مركز حرمون للدراسات المعاصرة هو مؤسسة بحثية ثقافية تُعنى بشكل رئيس بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصًا الواقع السوري، وتهتمّ بالتنمية الاجتماعية والثقافية، والتطوير الإعلامي وتعزيز أداء المجتمع المدني، واستنهاض وتمكين الطاقات البشرية السورية، ونشر الوعي الديمقراطي، وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان.

- أبحاث سياسية
- أبحاث اجتماعية
- أبحاث اقتصادية
- ترجمات
- أبحاث قانونية

www.harmoon.org

مركز حرمون للدراسات المعاصرة
Harmoon Center for Contemporary Studies
Harmoon Araştırmalar Merkezi
Doha, Qatar Tel. (+974) 44 885 996 PO.Box 22663
Istanbul, Turkey Tel. +90 (212) 813 32 17 PO.Box 34055
Tel. +90 (212) 524 04 05